ضرب المطرق
على رأس حدادي أخرق

يزعم إجماع السلف على إثبات حادث أول بإطلاق،
وينكر على شيخ الإسلام قوله بحوادث لا أول لها،
يشير إليه بقوله
"بعض المشهورين من متأخري القرن الثامن"!!!

أبو الفداء ابن مسعود

غفر الله له

إصدارات إقناع

الحمد لله وحده، أما بعد، فقد دفع إلي أحدهم، بمقال كتبه متعالم غمر مجهول، من بهاليل الحدادية، ممن يلقب أحدهم نفسه اليوم "بالحنبلي الأثري" (١)، ويتطاول على أكابر الأمة من الأئمة والعلماء ليل نهار، بدعوى نصرة منهج السلف وطريقة السلف، يرد فيه على شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى – دون أن يصرح باسمه كما سترى - في مسألة "تسلسل الحوادث"، ويتهمه بأنه أسرف على نفسه بالخوض في الكلام والرد على المتكلمين، وخالف طريقة السلف ومنهجهم في المبدأ والمنتهى، وأن السلف ما كانوا يقولون بمخلوقات لا أول لها، وإنما حسموا أمرهم على أن القلم هو أول الخلق بإطلاق، وأن هذا ما وقع فيه "بعض الناس" من مفارقتهم طريقة الإمام أحمد والسلف الصالح عامة في المنع من الرد على أهل الكلام بغير الكتاب والسنة! والرجل كان أجبن من أن يصرح باتهام ابن تيمية رحمه الله بالجهمية أو بالتجهم، كما سلكه غيره من أمثاله، ولكنه تكلم بالتعريض والتلميح وبما يوصل منه إلى تلك التهمة الباهظة الوخيمة لا محالة! فالقوم كما ذكرت لكم من قبل، لا يبغضون أحدا ولا ينقمون على أحد من العلماء الربانيين المنتسبين إلى طريقة السلف في تاريخ الأمة عبر القرون، كنقمتهم على ابن تيمية رحمه الله خاصة، صرح بذلك من صرح، واتقى من اتقى! فإنه هو أول من أطال النفس، من أئمة السنة الحنابلة، في تقرير ما ينقض عليهم طريقتهم وتأصيلاتهم في باب الأسماء والأحكام، التي يزعمون نسبتها إلى سلف الأمة وإلى الإمام أحمد، زورا وبهتانا! فما كان من عجب أن يبغضوه فوق ما يبغضون غيره، وإن لم يصرحوا!

قال المذكور في مقدمة المقال: "فقد سألني بعض الأصحاب عن القول في مسألة تسلسل الحوادث في الماضي، وعن صحة ما قرره بعض مشاهير المتأخرين من أهل القرن الثامن في ذلك، حيث قرر أنه لا

أول للمخلوقات نوعا إذ ما من مخلوق إلا وقبله مخلوق، وأن المخلوقات جنسا قديمة لا من حيث الأفراد، لأنه ما من مخلوق إلا وهو مسبوق بالعدم، وذلك لأن الله تبارك وتعالى لم يزل فعالا خالقا، وأثر الفعل يقتضي وجود المفعول، وذكر أن ذلك هو قول السلف والأئمة، ونقل أثرا عن ابن عباس، وأثرا عن جعفر الصادق مدللا على دعواه، كما ساق كلاما لأحمد بن حنبل، ولنعيم بن حماد، وعبد العزيز الكناني، ولأبي سعيد الدارمي، ولأبي عبد الله البخاري، وغيرهم من علماء السنة الأولين، قائلا بأن القول بما تقدم هو مضمون كلامهم وتقرير مقالهم! وجوابا عن هذا أصول ..."

ثم أخذ يهرف بما عنده!

وأول ما يرد به على هذا المقال أن يقال: من أنت أصلا يا سفيه، ومن تكون في سوق العلم، وأين تقع على خارطته، حتى تُسأل عن رأيك فيما قرره من سميته تحقيرا وتهوينا "ببعض مشاهير المتأخرين من أهل القرن الثامن"، في مسألة دقيقة عسيرة كمسألة "حوادث لا أول لها"؟ أنا والله أعجب أشد ما يكون العجب من عقول هؤلاء، كيف تعمل، إن كان فيهم عقول أصلا!! ابن تيمية هذا، الذي تهون من كلامه وتحقره وترفع عقيرتك بالرد عليه وعلى تراثه في الرد على المتكلمين، في مقالة موجزة لا تجاوز العشر ورقات، كان من مشاهير القرن الثامن الهجري عند من؟ ولماذا؟؟ وبأي شيء اشتهر؟؟؟ ومن الذين عرف عنهم الرد عليه في هذه المسألة بعينها التي تصدرت أنت بالرد عليه فيها؟؟ وأين أئمة السنة وعلماؤها وأكابرها في قرنه وفي القرون التي تليه من هذا الكلام الذي ذكرته، وما موقفهم منه؟؟ هل قالوا هو بدعة أحدثها هذا الرجل من كيسه وشذ بها عن طريقة السلف، وعما وجدنا عليه شيوخنا، أم درجوا على قبوله واستحسانه إجمالا، ومن لم يظهر الاستحسان منهم، فلأنه آثر السلامة لنفسه وسكت، خوفا

من أن تزل قدمه من سوء الفهم في شأن عظيم كهذا؟؟ وإذا كانوا قد أقروه على كلامه في هذه المسألة ولم يردوه عليه، ولا نعرف عنهم غير ذلك، منذ أن قبض وإلى اليوم، فما دلالة ذلك عندك أنت وأمثالك؟؟ هل تدل على أن هذا هو سبيل المؤمنين وما عليه الأكابر من أهل السنة على التحقيق في هذه المسألة، كما يأخذه كل طالب علم سلك طريق الطلب والتلقي الصحيح عند أهل السنة، أم تدل على أن المتأخرين من العلماء جميعا منذ القرن الثامن ونزولا إلى اليوم، قد شذوا كلهم عن سبيل المؤمنين فيها، أو جهلوا وضلوا، ولم يبق في الأرض من يدل الناس على القول الصحيح فيها، إلا أنت والثلة التي توافقك ممن لا يُعرفون بعلم ولا تعليم ولا شيء؟؟

يا هؤلاء لا يكون الرجل حنبليا كما تنسبون أنفسكم، بأن يأتي إلى آثار الإمام أحمد يجمعها من بطون الكتب والمخطوطات جمعا، يقرأها ثم يفهمها برأسه استقلالا عما عليه قرون العلماء، ليخرج منها بالأصول والقواعد على فهمه هو لما يقرأ!! وإنما يكون حنبليا حقا بأن يكون على ما درجت عليه قرون العلماء الكبار من أهل الحديث والأثر، من فهم وتقرير لمذهب أحمد، ومن عمل به في شتى أبواب العلم! هم من جهلهم يتوهمون، ويوهمهم كبارهم من الأصاغر والأحداث المجاهيل أمثالهم، بأنهم بهذا يرفعون سندهم في السلفية، ويأخذون من المنبع الصافي الذي يدعي كل سلفي أنه يأخذ منه! وهم بهذا، كما هم بغيره، أجهل من الدابة على الحقيقة، لأن رفع السند إنما يكون عند أهل الحديث بأن يصل الطالب إلى الشيخ الأول ليجالسه مباشرة ويسمع منه ويقرأ عليه، فيعلو سنده بهذا! أما أن يسقط قرونا من حملة العلم ونقلته وكأنهم لم يكونوا، ثم يقفز إلى العصر الأموي والعباسي، يأخذ آثار علمائه وأئمته وكأنما جالسهم بنفسه وسمع منهم وتعلم كلامهم ومقاصدهم، فاستغنى بذلك عن علم القرون من تلامذتهم ومن جاء

بعدهم من الأكابر والعلماء، ثم يقول أنا أعلي سندي في العلم، وآخذ من حيث أخذ من سبقوني، فهذا جهل مبين! بل تقطع سندك وتسقطه بالكلية على التحقيق يا مسكين، وليس أنك تعلو به! وليس لك أن تقول إنك بذلك تكون قد أخذت من حيث أخذ السابقون من قبلك! أبدا! فالعلماء لم يتعلموا طريقة السلف إلا من مشايخهم، سماعا ومجالسة ومعاينة، وسؤالا واستيضاحا وتعلما ومتابعة لأحوال الشيخ وتصرفاته العلمية، في كل قرن من القرون، وصولا إلى قرن السلف الأول! فإذا رجع هؤلاء إلى كتب السلف وآثارهم واستشهدوا بها في مسألة ما، كما سلكه هذا "المشهور من متأخري القرن الثامن" كما سميته، في هذه المسألة وغيرها، فيصح إذن أن يقال فيهم إنهم أخذوا من حيث أخذ من سبقوهم! فالرجل رحمه الله لم يقفز على آثار لم يسمع من أحد قبله فهما أو توجيها لها، ونصوص قديمة ما عرف من طريقة أهل السنة عبر القرون قبله كيف التصرف الصحيح فيها، ثم أخذ يحملها بالتأويل حملا على مذهبه المخالف لما كان عليه السلف! وإنما هذا ما تسلكونه أنتم في جهلكم وحماقتكم، فوافقتم بذلك مخالفيه من الأشاعرة ومن شاكلهم، ونصرتم مذهبهم على مذهب السلف من حيث لا تشعرون، وأنتم تزعمون أنكم ترفعون سندكم إلى القرون الأولى!

قلنا من قبل ونكرر ولن نمل من التكرار، إن النص السلفي عن إمام من الأئمة الأقدمين ما بين أن يكون صاحبه مصيبا فيما قرر (إن ثبت من جهة الرواية)، على ما يفهمه به تلامذته وأصحابهم ومن تبعهم من تلامذتهم عبر القرون، وما بين أن يكون مخطئا أو غير ضابط للعبارة، أو متوجها به إلى غير القصد الذي قد يظهر لقارئ الأثر من أول وهلة، متصرفا بالكلام جريا على ما ترجح لديه من المصلحة حال تقريره إياه! كل ذلك لا يُعرف ولا يمتاز عند طالب العلم إلا بما ورثه شيوخه من قبله من توجيه الآثار وبيان ما يجب سلوكه مع الواحد

منها، عند التعرض له! أما أن يعامل النص السلفي وكأنه نص معصوم، ويعامل فهم الجهول العامي الذي يحتج به من أمثالك، على أنه هو الفهم الصحيح له والتوجيه الصحيح بالضرورة، على أساس أنه "ظاهر جدا" في المطلوب كما توهمون أنفسكم، وكأنما هو من محكمات القرآن، دونما التفات لميراث الأمة من علماء القرون في تلك الأبواب، وتصرفاتهم في تلك الكتب والآثار، فهذا من أجهل ما رأته الأمة عبر القرون من مسالك المنتسبين إلى العلم وإلى السلف زورا وعدوانا، والله المستعان!

وقد تعين في هذا الزمان خاصة على كل قادر على بيان ذلك الفساد المنهجي العريض أن يجتهد وأن يتقرب إلى الله تعالى ببيانه والتحذير منه، لشدة ما يقع عند الأحداث والمبتدئين في طلب العلم من اغترار بصنيع أولئك السفهاء من حشو الآثار في كلامهم والاستزادة منها، و"شرح" كثير من كتب السلف (فيما يزعمونه شرحا)، وما يزعمونه من غيرة على العقيدة والتوحيد لا توجد في المتأخرين والمعاصرين على عبارتهم! فالفتنة بتلك الفئة الباغية الضالة عظيمة عند الشباب، وهي ماضية في ازدياد على شبكات التواصل الاجتماعي خاصة، والله المستعان لا رب سواه.

أقول لهذا الكاتب الأرعن، المستكبر بعقله على قرون العلماء وعلى أكابرهم: هذا "المشهور في القرن الثامن" الذي ترد عليه إبهاما لاسمه، وكأنه طالب علم صغير، أو صاحب بدعة لا يؤبه به، ولولا ظهور الداعي للرد عليه ما تكلفته أصلا، هذا الذي تقول إنه ذكر أن مذهبه هذا هو قول السلف والأئمة في المسألة وأنه نقل من الآثار ما يدل عليه، هذا إمام الدنيا في مذهب أحمد في قرنه، وعلم الأعلام رحمه الله تعالى في وقته في طريقة السلف في الاعتقاد، قد برز نجمه وعلا كعبه، وذاع أمره حتى انقلبت عليه مشيخة الجهمية والمتكلمين من كل

طائفة ونحلة، وصار لا يذكره ولا يُذكر اسمه عند منسوب إلى العلم متصدر في الناس بالكلام في العلم إلا وجب عليه أن يحسم أمره منه، إما بإظهار الموافقة أو إظهار المفاصلة والمباينة! فأين كلام أئمة الجرح والتعديل في عصره، من أهل الحديث والأثر، في التحذير منه ومن بيان مفصل واف، كما هو الواجب عليهم حالئذ، لما ترتب على ذلك المسلك عنده من فساد في أقواله ومخالفتها مذهب السلف كما تدعي أنت وأمثالك، حتى بلغ بعضكم أن رماه بالجهمية والإرجاء صراحة؟؟ أم أن مخالفة مثل هذا الرجل، في مثل هذا الشأن، للسلف والأئمة من قبله، من جنس ما يجوز في عقولكم أن يكتشفه الغمر التافه من أمثالكم اليوم بعد سبعة قرون كاملة أو قريب، من العلم والعلماء من أهل الحديث والأثر، قد انصرمت من بعده، رحم الله الجميع؟؟ أم تراك لا تبالي بأنه لا سلف لك على التحقيق، في النقض على الرجل في هذه المسألة بخصوصها، إلا الأشاعرة والماتريدية الذين تكفرهم أنت وترميهم بالزندقة؟؟

يا هؤلاء، كل علم من العلوم له أصوله وقواعده، وله طريقته، وله حُماته وحرسه القائمون عليه في كل عصر، وله أئمته المرجوع إليهم في ضبطه! وهذا العلم الذي اقتحمتموه برؤوسكم وجهلكم وحماقتكم، علم صعب دقيق، لا يُطلب كما تطلبونه ولا يؤخذ كما أخذتموه! ولو صدقتكم في توقير رب العالمين وتعظيم صفاته كما تزعمون، لترددتم ألف مرة قبل أن تتكلموا في مثل هذه المسألة الخطيرة بمثل هذا، ولارتعدت فرائصكم رعبا من مخالفة أئمة أهل السنة في هذا البحر الضخم، ولحرصتم غاية الحرص على ألا تلجوه إلا من بابه الذي لم يزل يلجه منه طلبة العلم ومشايخهم من أهل السنة عبر القرون، كابرا بعد كابر!! ولكن أنتم كذبة في دعواكم أن هذا الذي تنشرونه إنما يحملكم عليه توقيركم صفات الله وتعظيمكم لطريقة السلف فيها!! لو

عظمتم السلف وطريقتهم حقا، لأخذتم الطريقة كما هو حقها أن تؤخذ، ولصبرتم على ذلك كما صبر طلبة العلم عبر القرون! ولكن أنتم أهل كبر وغرور واستعلاء على الأئمة والعلماء، وحقد عليهم، قد آن الأوان لكشفه وفضحه كما هو حقه أن يفضح!!

نعم ما كان للمتكملين والفلاسفة أن يتكلموا فيما تكلموا فيه أصلا، ولا أن يخوضوا فيما خاضوا فيه أبدا! ولكن ما دام قد ظهر ذلك وذاع وانتشر بين المسلمين، وانتشرت قواعده الفلسفية عند أصحابه حتى صار العلماء يُمتحنون عليها، ولا يجد العامة غيرها أساسا لدراسة العقيدة في أكثر مدارس المسلمين، فقد وجب إذن من الرد والبيان القائم بالمطلوب من إظهار الحق ودحض الباطل، ما لم يضطر إلى مثله الأولون والأئمة المتقدمون! وإلا فأهل الكلام يأخذون المسلم المتعرض لهم بشبهاتهم في بناء تأصيلي فلسفي يؤسسون عليه دينهم، فيفتتن بهم لظنه أن هذا هو قطع العقل كما يدعون، وأنه محال أن يعارضه النقل، لأن مصدر النقل هو نفسه خالق العقل سبحانه! فإذا تُركت تلك الشبهات دون القيام بواجب النقض الوافي الذي يهدمها من أصولها هدما، كما سلكه شيخ الإسلام رحمه الله، فلن يسلم المسلمون من أن تدخل عليهم شبهات أهل الكلام، ومزاعمهم بأن ما هم عليه هو الصحيح من طريقة أهل السنة، على ما يزعمونه من تأويلات معتمدة عندهم لكلام الأئمة! والشيخ رحمه الله لم يسبقه أحد من أئمة أهل السنة بهذا البيان الوافي والتفنيد التأصيلي الدقيق لمزاعم القوم في العقليات، ليس لأنه بدعة محدثة مخالفة لطريقة السلف! ولكن لأن الداعي الشرعي عند السابقين ما كان قد بلغ ما بلغه في عصره، والخوض في تلك الأمور الأصل فيه المنع إلا من ضرورة! فقد بلغ شأن الشبهة اليونانية على عصره من الانتشار والتمكن في نفوس الجماهير من طلبة العلم والمفتين والقضاة في البلاد، بل ومن التأثير على كثير من فقهاء الحنابلة

المتأخرين على عصره، ما لم يكن عليه الحال على عصر الإمام أحمد، ولا قريبا منه! وكثير من الأفاضل من أهل العلم حتى من الحنابلة كانت تختلط عليهم مقالات الأشاعرة بمقالات أحمد رحمه الله، فيفهمون بعض كلامه على ما ورثوه من تأويلات الأشعرية! تلك التأويلات التي جاء هذا السفيه ببعضها في مقاله، ينتصر بها على أهل السنة كافة، لا على ابن تيمية وحده، من حيث لا يدري ولا يشعر!

فأهل السنة على عصر ابن تيمية ومن بعده مجمعون على تلقي ما قدمه الرجل في ذلك الباب بالقبول رحمه الله تعالى، وعلى أنه قام بذلك الفرض الكفائي على خير ما يرام، جزاه الله عن المسلمين خير الجزاء وأوفاه. وجميع أئمة القرون من بعده عيال عليه في ذلك الباب الدقيق الوعر، رضي من رضي وكره من كره!!

فهذا الكلام الذي قدم به ذلك الأرعن السفيه لمقاله، يدلك وحده على أجنبيته عن طريقة الأئمة والعلماء، من الحنابلة وغيرهم، وأنه دخيل على تلك الكتب التي أقحم رأسه فيها، يزعم أنه قد أخرج منها من الآثار ما يخالف ما عليه ذلك "المشهور" من متأخري القرن الثامن، الذي لم يجرؤ حتى على تسميته حتى يعرف الناس على من يرد وعمن يتكلم!! وهذا دليل على جبن وخسة صاحب الرد، وعلى أنه يتقي، أو يتوهم أنه يتقي!! لماذا؟ لأنه يعلم أن هذا النقد المزعوم الذي جاء به، لم يقل به أحد قبله ممن يؤخذ عنهم العلم من أهل السنة، منذ أن قُبض الشيخ رحمه الله وإلى اليوم! وهو نقد يخرج المردود عليه من دائرة أهل السنة جملة كما سيأتي! ولكن هذا الكاتب وأمثاله أجبن من أن يصرحوا بمثل هذا في حق الشيخ رحمه الله! محال أن يكون لهذا الإمام قدر عندي، كما هو عند أهل السنة من الحنابلة وغيرهم، ومع هذا آتي لأرد على مذهبه في مسألة من المسائل التي أجمعت القرون من أهل السنة من بعده على قبول مذهبه وتحريره فيها، وعلى تحذير المبتدئين

والأحداث وأشباه العوام من مغبة التعرض لها دون ضبط وإتقان، لخطورتها ودقة المأخذ فيها، وعظم اللوازم الفاسدة المترتبة على الغلط فيها، فأقول عند الإشارة إليه، رحمه الله: "بعض مشاهير المتأخرين من القرن الثامن"**!!** صرح يا جبان بتبديعك الشيخ وبتجهيمك إياه، كما صرح به أصحابك**!!** من أي شيء تخاف وعلى أي شيء تحرص؟؟ وهل بقي لكبير من علماء الأمة حرمة عندكم أو فضل أو عرض يراعى أصلا، قاتلكم الله؟؟

نسأل الله أن يكفي المسلمين شركم وفسادكم**!**

نقول: من من علماء السلف أهل الحديث ممن عاصر شيخ الإسلام ابن تيمية ومن جاؤوا من بعده عبر القرون إلى اليوم، رد عليه نسبته ذلك المذهب (تجدد الخلق والفعل الإلهي من الأزل) إلى السلف والأئمة، ممن لم يكن داعيهم لذلك الرد هو ما حمل الأشاعرة والمتكلمين على الرد عليه جريا على أصولهم البدعية في نفس الأمر؟؟ لم يُعرف في تاريخ المسلمين من رد على ابن تيمية قوله بتسلسل الحوادث، أو بحوادث لا أول لها، أو القدم النوعي كما باتت المسألة تسمى عند خصومه، إلا أهل الكلام الحادث البدعي الذين نقض هو عليهم غزلهم رحمه الله أتم ما يكون النقض**!** ولم يُعرف من تأول آثار السلف بمثل ما تأولتها أنت عليه يا جهول، خلافا لابن تيمية، إلا من ردوا عليه من الأشاعرة وأهل الكلام وتلامذتهم**!!** فهل هؤلاء هم سلفك وأئمتك في فهم تلك الآثار على هذا الوجه الذي تتعلق به، الذين لا تقدر على أن تمتثل قول الإمام أحمد رحمه الله "إياك أن تتكلم في مسألة ليس لك فيها إمام" إلا بأن تنقل عنهم، إن كنت فاعلا، لأنه لا إمام لك بهذا التأويل لكلام السلف غيرهم؟؟ الله أكبر**!!** لا تصدعونا بتكفيرهم إذن**!** فعلى الأقل هم قوم تكلفوا الفرار من لوازم ذلك التقرير الذي تطلقه أنت هنا بكل سهولة، تنسبه إلى أئمة السلف وكأنهم صرحوا به

صراحة، ولم يتكلموا فيه بما يحتمل التأويل!! تلك اللوازم التي لم تبلغ أنت حتى أن تحاول تصورها، وما كنت لتبلغ! فهو من لوازمه، على الفهم السلفي الصحيح لأزلية الله تعالى وكونه هو الأول الذي لم يزل قائما في الأعيان بلا ابتداء في الماضي، أن يكون سبحانه معطلا عن جميع أفعاله من الأزل، أي من زمان لا ابتداء له في الماضي، قبل خلقه العالم! والذي لا يفعل ولا يتكلم ولا يحدث عنه شيء البتة، ميت ليس بحي قطعا!! الأشاعرة زعموا أن هذا لا يلزمهم، لأنه على برهانهم البدعي وأصوله اليونانية، يكون القدم والأزلية بمعنى الوجود لا في زمان! فعلى هذا يندفع عندهم اعتراض ابن تيمية في مسألة زمان لا ابتداء له في الماضي، كان الله فيه معطلا عن الفعل، إذ لا زمان في الأزل أصلا عندهم! ولكنه يلزمهم التعطيل من ذلك أيضا، بل وأشد من التعطيل، لأن ما لا يوجد في الزمان لا يوجد في الأعيان البتة، إذ لا يكون من الجائز أن يقال إنه كان على حال لم يكن فيها شيء معه، ثم صار متلبسا بخلق العال، ثم هو الآن مستو على عرشه! فإن قلتم أنتم بالمخلوق الأول المطلق، الذي لم يكن قبله خلق لله أبدا في الأزل، فكيف تتخلصون من لزوم أن تكون صفة الخلق نفسها قد اكتسبها الله تعالى بعد أن كان عادما لها في زمان لا نهاية له في الماضي؟؟ وهل يعقل أن يصح فيه أنه الخالق والخلاق وأنه لم يزل يفعل ما يشاء في الأزل، على هذا المعنى الذي نجزم بأن المسلمين لم يعرفوا غيره للقدم والأزلية والأولية قبل ظهور بدعة الجهمية؟؟

فإن قلتم ولكن هذا الذي قررته أنت و"الرجل المشهور في القرن الثامن" هذا، يكون ردا للسنة بالعقل، وتقديم للعقل على النقل كما هي طريقة أهل الكلام سواء بسواء، قلنا أبدا، وإنما هو رد لدعوى فاسدة عقلا، أحدثها الأشاعرة جريا على أصولهم، فاضطروا لأجلها ولأجل أصولها عندهم إلى أن يوجهوا النصوص والآثار إلى تلك الوجهة، ثم

أنتم الآن تزعمون أنها هي ظاهر الآثار السلفية كما زعموا هم، مع أنكم تخالفونهم في أصولهم اليونانية التي لولاها ما قالوا هم بتلك المقالة! فإن لم يكن الأشاعرة هم سلفكم في ذلك التأويل الحادث فمن؟؟ لا تأتني بآثار أخرى لنفس الأئمة أو لغيرهم من نفس الطبقة، ترسم تحتها الخطوط السوداء، فيما تزعمه صريحا على ما تريد، فإن هذا هو محل النزاع أصلا! وهي آثار لم تخف على من ترد عليهم من علماء أهل السنة وأئمتهم، من القرن الثامن وما بعده! محل النزاع، وافهمه إن كان لك أن تفهم، في أن آثار السلف ذات الصلة بهذه المسألة، محمولة كلها على فهمين، أحدهما ينتصر له ابن تيمية والثاني ينتصر له خصومه من أهل الكلام! فمن من أهل السنة الكبار ومن أعلام القرون من عصر ابن تيمية ثم من بعده، بدع ابن تيمية أو أنكر عليه نسبته ذلك المذهب إلى السلف وتوجيهه آثارهم إلى تلك الوجهة؟؟ أنا أطالبكم ليس بإيراد قول الواحد أو الاثنين ممن وافق قولُه قولَكم من المعظمين عند أهل السنة في زمان ابن تيمية وما بعده، فإن هذا ليس فيه حجة على أحد، وإنما أطالبكم بإثبات أن أهل الحديث من بعد ابن تيمية قد اتفقوا على إنكار ذلك المذهب عليه، والبراءة منه، أو على الأقل ظهر بينهم نزاع فيه، لاسيما ومعلوم أنه قد ذاع وانتشر في تلامذته، وتلامذتهم من بعدهم، ينسبونه إلى السلف، ولم يكن بالذي يخفى على قرون أهل الحديث من بعده، ولا كانت تخفى حرب أهل الكلام عليه لأجله، لزعمهم أن حقيقته القول بقدم العالم! فإن قلتم السلفية هي الإمساك عن ذلك كله وعدم الخوض فيه من بابه، وأهل الحديث الخلص ما خاضوا في ذلك أصلا ولا التفتوا إليه، لأن البحث فيه ممنوع عندهم أصلا، قلنا لكم إذن نطالبكم ببيان اتفاق الأئمة من أهل السنة عبر القرون (الذين هم على شرطكم في السلفية وفي الحنبلية) على تحذير المسلمين من مطالعة كتب ابن تيمية على أنها من كتب

الكلام المذموم التي لا يجوز للمسلم الانتفاع بها أو النظر فيها أصلا!! فإنهم إن لم يقع منهم ذلك التحذير الصارم الصريح، ويظهر في الناس، ويكون هو المشهور في مذهبهم، فلن يأمن طلبة العلم من تلامذتهم على أنفسهم من أن ينجرفوا إلى نفس المنحدر الكلامي الذي انجرف إليه ابن تيمية، فصار به من المتكلمين ومن جملة المتجهمة على طريقتكم! ولهذا قلت من قبل إن الواحد منكم لا يصدق مع نفسه ولا يلتزم لوازم طريقته حتى يصرح بتجهيم ابن تيمية، وبعده من أهل البدع الكلامية الذين أحدثوا في دين الله حدثا عظيما لا يجوز السكوت عنه أو التساهل فيه! وإذن يصبح كل من تابعوه على كلامه في هذه الأبواب من جملة الطوائف البدعية الكلامية، يقال لهم التيمية كما أن الأشعرية ينسبون إلى الأشعري، والماتريدية ينسبون إلى الماتريدي، والكرامية إلى ابن كرام، وهكذا! فأين هذا عند أئمة أهل السنة في القرون التي تلت قرنه رحمه الله؟؟ لا يوجد!! أبدا!! ولو وقفتم على رؤوسكم لن تجدوه!!

السلفية والأثرية في هذه الأبواب الخطيرة يا هؤلاء، إجماع واتفاق مبرم بالضرورة! فلسنا نحتج عليكم بكلام ابن تيمية لأنه عندنا معصوم، أبدا! ولا نجيز لكم أنتم الاحتجاج علينا بكلام إمام من الأئمة الأولين وكأنه معصوم!! وإنما نحتج بما عليه المشيخة والجماعة عبر القرون! مشيخة أهل الحديث والأثر، المعروفون عبر القرون بالجري على طريقة السلف في الاعتقاد والمنهج وفي نبذ الكلام وأهله، ولا يأخذ أحد من المسلمين طريقة السلف في الاعتقاد إذا طلبها إلا منهم، هؤلاء هم الجماعة المشار إليهم في قولنا أهل السنة والجماعة، على أحد الوجهين المشهورين فيه! وإلا فكيف يُعرف الإجماع السلفي تحقيقا؟ كيف يعرف من شذ عنه ممن وافقه، وكيف يمتاز من صدق في ادعائه ثبوته ممن زعمه حيث لا يثبت، وكيف يعرف من كانت

مخالفته خطأ وشذوذا لا يتابع عليه، ومن كانت مخالفته لسبب معتبر مستساغ علميا عند أهل السنة، فيكون في سعة من تابعه عليه؟ إنما يعرف ذلك كله بالأخذ عن العلماء من أهل الحديث، ومن تتبع تصرفاتهم العلمية عبر القرون، فيما توارثوه من العلم، وليس بالأخذ عن مقالة "بي دي إف" موجزة مجهولة المصدر، إذا سئل عنها كبير من كبراء المذهب والطريقة السلفية الأثرية الصحيحة لقال: هذا شذوذ وغلط قطعا، وكلام مخالف لما وجدنا عليه مشايخنا! هذه هي المخالفة المنهجية الأصلية العظيمة عند الحدادية على اختلاف طبقاتهم، التي نرجو من الله تعالى أن يهدي كل صادق منهم لطلب الحق والعلم لأن يفهمها!

أنت يا كاتب هذا المقال، تطالب تلامذتك، ومنهم ذاك السائل الذي أشرت إليه بقولك "سألني بعض الأصحاب"، بأن يتركوا قول ذلك "المشهور من متأخري القرن الثامن"، ليقلدوك أنت على ما تدعي أنه الفهم الصحيح لتلك الآثار التي أوردتها في تلك الصفحات، والتحرير الصحيح لمذهب السلف في هذه المسألة؟ هل هذا أمر يعقل أو يحسن عند من عرف للعلم الشرعي سبيلا في يوم من الأيام؟ هو إن خاطبته بذلك، انتفض وقال كما سمعناهم يقولون: معاذ الله، لا أدعو الناس لتقليدي أنا، ومن أكون حتى أقلَّد؟ أبدا! وإنما أدعوهم لتقليد الإمام أحمد، والإمام البخاري والإمام الآجري والإمام الدارمي وغيرهما من الأولين، فهم أولى من "مشهور القرن الثامن" بأن يقلدوا!! ونقول له كذبت! بل تدعوهم لتقليدك أنت تحقيقا، شعرت أم لم تشعر! لماذا؟ لأن مذهب هؤلاء الذين سميتهم وغيرهم من أئمة القرون الأولى في هذه المسألة التي أوردتها وتكلمت فيها، قد تنازعته الفرق عبر القرون من بعدهم! فالأشاعرة وموافقوهم يزعمون نظير ما تزعم أنت أنه مذهبهم فيها، وأهل السنة يخالفونهم في ذلك! فلماذا نسب المتكلمون ذلك

المذهب إلى السلف، وبأي شيء دفعه أهل السنة عنهم، وأين أنت من جميع ذلك؟؟ لا شيء إلا التحكم والدفع بالصدر، والجزم بأن أولئك الأئمة ما دامت قد وقعت له تلك الآثار المروية عنهم، فلابد أنها تدل وحدها على أن مذهبهم في المسألة هو كما يدعي! الكلام واضح! والرجل من أجل أن يؤكد على أن فهمه وتأويله هو الصحيح، الواجب على قارئ البحث أن يترك فهم القرون من علماء السنة من بعد ابن تيمية رحمه الله وإلى يومنا هذا، ليوافقه عليه، ما زاد على أن رسم خطا تحت المواضع التي يتوهم في جهالته أنها تحسم النزاع وتدل على المطلوب! يورد كلام البخاري في كتاب بدء الخلق، مثلا، فيضع خطا تحت قوله "بدء الخلق"! ويقول "نصدق بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم "كان الله ولم يكن شيء غيره""، وكأنه ليس لأهل الحديث كلام في هذا المتن البتة، ومن تكلم فيه أو رجح لفظا آخر عليه، فهو مبتدع ضال بالضرورة!! ويقول: "ونقر بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم "أول ما خلق الله القلم"، ثم يضع خطا تحت لفظة "أول"، وهو يعتقد أنه قد قطع مخالفه بذلك، وحجه أتم ما تكون المحاجة! ثم يضيف: "على فهم الأوائل من علمائنا"! وكأن هذا الفهم وصل إليه هو بعدما تجاوز تلك القرون من أهل السنة جميعا، بوحي نزل عليه أو في منام رآه مثلا!! فكيف حصل له الوهم بأن هذه الألفاظ قاطعة فيما يريد؟ يقول: "على فهم الأوائل من علمائنا، الذين احتج به غير واحد منهم على الجهمية، وذلك في مقام إثبات أن كلام الله غير مخلوق، لأن القول سابق لأول الخلق، ولو لم يكن للخلق حد عندهم، وكان الخلق قديما من حيث النوع لديهم، فبأي وجه يصح لهم هذا الاحتجاج على المعطلة؟" قلت: أحقا تعتقد يا رجل، أن القرون من أهل الحديث ممن تتلمذوا على ابن تيمية ووافقوه على فهمه لنفس هذه الآثار التي فهمت أنت منها هذا الفهم، لم تهتد إلى ما هديت أنت إليه في نفس

الأمر؟؟ أنا أعجب والله من جرأة هؤلاء النوكى على قرون أهل العلم فيما بيننا وبين السلف الأول! أتهم فهم إمام كبير من أكابر أئمة أهل السنة في القرن الثامن، ومشايخه من قبله الذين أخذ عنهم هذا الفهم، وأفهام جميع أهل السنة من العلماء والأئمة من بعده، الذين وافقوه على تحريره له، وصولا إلى يومنا هذا، لتلك الآثار، ولا أتهم فهمي أنا!! فبالله كيف يكون هذا من السلفية ومن طريقة السلف؟؟ نعوذ بالله من كبر لا نعرف له نظيرا إلا عند الجهمية والفلاسفة الذين يكفرونهم!!

بالله يا عقلاء بل ويا مجانين المسلمين، أي فرق يبقى بين هؤلاء وبين أمثال إسلام بحيري وإبراهيم عيسى وفاطمة نعاوت ومن شاكلهم في زعمهم أن الأزهر وعلماء الأمة كافة يفهمون القرآن وصحيح البخاري فهما مغلوطا؟؟ الفهم الصحيح من أين يؤخذ إذن؟؟ من فهمك أنت استقلالا برأيك ورأسك، الذي قد تنتصر له بفهمك أنت أيضا المستقل والمنفرد لآثار السلف؟؟ فأي حجية تتوهم لفهمك أنت على أفهام هؤلاء؟؟ لأنك "الأثري" الذي أعفى لحيته ولبس القميص والشماغ وقرأ كتب السلف؟؟؟ فكذلك قرأها غيرك! فكان ماذا؟ هؤلاء الزنادقة إنما أتُوا من قبل استكبارهم على علماء الأمة، واستعلائهم بأفهامهم على فهم القرون من أهل العلم، وكذلك أتيتم أنتم من نفس الجهة، والله المستعان!! فوالله لا يكون لفهمكم أنتم فضل على فهومهم إلا بما اتفق لكم اتفاقا أن وافقتم فيه العلماء، وخالفوا هم فيه، كما قد يَفضُلوكم هم فيما اتُفق لهم أن وافقوا فيه العلماء مما خالفتم أنتم فيه!! فبقدر ما يقترب المرؤ مما عليه علماء السنة عبر القرون، يزداد اقترابه مما كان عليه السلف حقا! وبقدر ما يتجاوز كلام العلماء وفهمهم وتحريراتهم، يزداد بعدا وشذوذا عما كان عليه السلف! هذه هي، فليفهم من يفهم، وليجهل من يجهل، ثم لا يلومن امرؤ إلا نفسه!!

سأبين بحول الله وقوته سخف هذا الفهم، ولكن أردت أن أبين أولا سبب وقوع هذا المسكين فيه، وتوهمه كما يتوهم أقرانه من أصحاب تلك الطريقة المحدثة البدعية في الأخذ من كتب السلف وآثارهم، أن الآثار التي معه صريحة به، لا تحتمل التأويل! لابد ألا يخفى على أدنى طالب علم أنك إذا قلت في جملة من الآثار إنها دالة على معنى معين تنتصر له، دلالة لا مدخل فيها للتأويل أو الاختلاف، دلالة واضحة ظاهرة قاطعة للنزاع، وكان ذلك التأويل منسوبا في الحقيقة، وعند الفحص والتتبع، إلى فرقة معينة دون غيرها من الفرق، فلابد أن تكون تلك الفرقة هي أهل السنة الحقة، الذين لا يجمعون على ضلالة أبدا، وأن يكون سبيلهم هو سبيل المؤمنين المأمور باتباعه في القرآن! فإن كان القول بحوادث لا أول لها، على تحرير ابن تيمية له في كتبه، قد ظهر في نصوص السلف وآثارهم فعلا ما يبطله إبطالا قاطعا منصرما، لا يماري فيه إلا صاحب هوى، وكانت الطائفة الوحيدة التي تُعرف في الأمة بذلك الفهم الذي انتصرتم له، لنصوص السلف، وبالاحتجاج به على كلام ابن تيمية في تلك المسألة الخطيرة، هم الأشاعرة والماتريدية، فأي الفرق تكون هي الأحق بلقب أهل السنة والجماعة إذن؟ الأشاعرة والماتريدية، أم ابن تيمية وسلفه ممن وافقهم، ومن جاء بعده ممن وافقوه وأقروه من المنتسبين إلى الحنابلة وأهل الحديث؟؟ أنتم لا تعقلون لوازم ما تقولون للأسف، وهذا من آيات الجهل والحماقة الطافحة فيما تكتبون!

إذا كان ليس فيمن يعظمون السلف الذين تعظمونهم أنتم، ويحيلون على كتبهم وتراثهم إجمالا، من العلماء الكبار، من يقول بهذا التوجيه الذي حررته أنت لتلك الآثار، وإنما تجد نظيره عند الأشاعرة، فكيف يكون أولئك العلماء هم ورثة أهل السنة حقا؟؟ وإذن فمن أين لك أنت العلم بأن من عظموهم من العلماء الأقدمين والأئمة، وتابعتهم أنت على

تعظيمهم في أول أمرك، هم السلف الصالح الواجب متابعتهم في العقيدة حقا، وأنهم على ما كان عليه الصحابة حقا؟؟ هنا قد يتفلسف ويقول: ولكن الأشاعرة تلبسوا بمقالات الجهمية، فمحال أن يكونوا هم أهل السنة حقا، وأن يكون ما هم عليه هو اعتقاد الصحابة! فيقال له: إذا فقدت الثقة في فهم الآثار عند من علموك تعظيم العلماء الأولين أصحاب تلك الآثار، الذين أخذت عنهم أسباب اتهامك الأشاعرة بالجهمية ونقضك عليهم، فإنه يسقط لديك، بالضرورة، سبب اتهام الأشاعرة أصلا بأنهم ليسوا هم أهل السنة، وإذن لا يبقى لك إلا أن تبرئهم من الجهمية البتة وأن تكون على ما هم عليه، فتأمل!

وإلا فكيف تتخلص أنت مما لأجله قالوا هم بما حقيقته موافقة الجهمية عندك، وأنت توافقهم في قولهم بحدوث جنس المخلوقات، وابتدائه بمخلوق أول لا خلق قبله مطلقا؟؟ فإن قلت لا أوافقهم في الامتناع العقلي لتسلسل الحوادث، لأني أرد عليهم أصولهم اليونانية جملة، وإنما أقول به من جهة السمع فقط، وإلا فهو عندي تسلسل غير ممتنع عقلا، قلنا لو قرأت كلام ابن تيمية الذي تجاوزته كله من بابه هكذا، ولم تر حاجة لأن تقرأه حتى تفهم هذه المسألة كما هو حقها أن تفهم، لتبين لك سبب كونك لا تخرج بقولك هذا من لزوم موافقة الأشاعرة في جملة من أصولهم!! ولكن أنت وأمثالك ترون أنكم قد استغنيتم برؤوسكم وأفهامكم عن تراث ابن تيمية كله من أوله إلى آخره! فما الحيلة مع من كانت هذه حاله؟؟ هو لو سألته سيقول: لست أقول بحدوث "جنس الحوادث"، على ما في لفظة "الحوادث" من الإجمال، وإنما أقول إن الله لم يخلق شيئا قبل القلم على الإطلاق، بدلالة الآثار والنصوص، فيقال له: دلالة الآثار والنصوص هذه ما أدراك بها ومن أين جئت بها؟ جالست الأئمة الذين رُويت عنهم بنفسك، فسمعت منهم وعرفت مقاصدهم كما عرفها تلامذتهم، وتلامذة تلامذتهم وصولا إلى ابن

تيمية؟ أبدا! وإنما انقسم الناس عندما بدع المتكلمون برهان الحدوث لديهم، بين من يزعم أن الفهم الصحيح لتلك الآثار هو هذا الذي تقول، ومن يزعم أنه على ما يقوله ابن تيمية ومن جاؤوا بعده من أهل السنة، في ردهم عليهم! وكل فريق منهما لديه أصول متلازمة مع قوله، على نحو قد فصلوه في كتبهم وتصانيفهم! فالذين قالوا بمقالتك، أصولهم التعطيل، تعطيل صفاتية المتكلمين (الأشاعرة والماتريدية)، ولأجلها قالوا بتلك المقالة، بينما من خالفوها هم أصحاب الإثبات الأثري على التحقيق، وأصحاب النقض على تلك الأصول بما لا مزيد عليه! فأنت كالذي يريد أن يأخذ من مخالفي ابن تيمية قولا هو من أصولهم الكبرى، دون التفات للوازمه التي نبه عليها ابن تيمية، وبين أن السلف ما عرفوها ولا قالوا بها، ولا جاز أن يكون فهمهم لتلك الآثار على هذا النحو، للزوم ذلك منه، فيما أقره عليه أئمة القرون من بعده من أهل الحديث!

قولك: "على فهم الأوائل من علمائنا، الذين احتج به غير واحد منهم على الجهمية، وذلك في مقام إثبات أن كلام الله غير مخلوق، لأن القول سابق لأول الخلق، ولو لم يكن للخلق حد عندهم، وكان الخلق قديما من حيث النوع لديهم، فبأي وجه يصح لهم هذا الاحتجاج على المعطلة؟" الاحتجاج هنا مداره على أن خلق هذا العالم يتسلسل، ولا يتصور له ابتداء أصلا، إن قيل بأن كلمة التكوين التي بدئ بها خلقه، هي نفسها مخلوقة! فأسبقية القول على الخلق، لا تصح أصلا ولا تتصور، لو كان القول نفسه خلقا!! فأين هذا في إثبات ما تريد؟؟ ليس هذا احتجاجا بامتناع تسلسل الحوادث (قدم نوع المخلوقات)، وإنما هو احتجاج بامتناع تسلسل العلل، وامتناع حدوث العالم أصلا إن قدرنا أن كانت الكلام مخلوقا! فإن لم تكن تعقل الفارق بين السلسلتين، فليس

لك أن تعترض على ما لا تفهم!! اذهب لمن يعلمك يا رجل! ارحم نفسك وارفع الجهل عنها حتى لا تضحك الناس عليك!!

تقول: "وكذلك نقول بما جاء في الخبر عن عطاء بن أبي رباح أنه قال: سألت الوليد بن عبادة كيف كانت وصية أبيك حين حضرته الوفاة؟ قال أي بني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: أول ما خلق الله تعالى القلم، فقال اكتب، قال وما أكتب يا رب؟ قال اكتب القدر. قال فجرى القلم في تلك الساعة بما كان وبما هو كائن إلى الأبد."

قلت فهذا كغيره مما في الباب، ليس صريحا بأن المقصود هو أول مخلوق لله بإطلاق، فإذا جمع إلى النصوص التي فيها سؤال الصحابة عن "أول هذا الأمر"، والتأويل الراجح "للعماء"، ترجح أن يكون المراد من جميع ذلك كما ذكر ابن تيمية رحمه الله: أول هذا العالم بخصوصه. وهذا ما وجدنا عليه مشايخنا من أهل السنة وجميع الكبار من أهل العلم المنابذين للمتكلمين وطريقتهم في عصرنا يقولون به ولا يقولون بخلافه! فمهما وضعت من الخطوط تحت لفظة "بدء الخلق" في أي نص من النصوص تسوقه، فلا يفيدك ذلك بشيء! يقول: "وأما حديث أبي رزين العقيلي قال: قلت يا رسول الله أين كان ربنا قبل أن يخلق السماوات والأرض؟ قال صلى الله عليه وسلم كان في عماء، فلا يخالف ما قدمناه، إذ علماؤنا قد اختلفوا في معناه على قولين، وكلاهما غير معارض للمقرر، فقد قال يزيد بن هارون في معناه (العماء أي ليس معه شيء)، فهو بهذا التأويل مؤكد لما تقدم، ومؤيد له، وأما على قول الخليل والأصمعي، وإسحاق بن راهويه أن العماء سحابة، فليس صريحا بنفي أولية الخلق للقلم، فلا يعارض ولا يناقض حديث عمران وعبادة." اهـ.

قلت سبحان من ركب في الخلق عقولهم! يا رجل أنت تنقل تأويل الأكثرين الذي فيه النص على أن العماء هذا "سحابة" لا هواء تحتها

ولا فوقها، ثم تقول لا يخالف ما نقرره من أن القلم هو أول المخلوقات بإطلاق!! كيف يعني؟؟ السحابة هذه أي شيء تكون عندك إن لم تكن شيئا مخلوقا؟؟ هل تثبتها عينا قديمة مع الله مثلا؟؟ الحديث على فهم أهل السنة الذي تشذ أنت عنه، يفهم منه أنه قبل المخلوق الأول من مخلوقات هذا العالم (القلم) كان مع الله تعالى مخلوق آخر هو العماء، ولم يأت في الحديث أو في غيره ذكر ما كان معه سبحانه قبل ذلك، ولا من أي شيء خلق ذلك العماء نفسه. وأنت لا يستقيم لك ما تريد وما تدعي من إسقاط كلام ابن تيمية، إلا بأن تثبت مخلوقا أول بإطلاق!! هذه هي دعواك هنا! فكيف لا يعارض هذا التأويل للفظة "عماء" ما تقرره في بحثك هذا من نفي تسلسل الحوادث؟؟ سبحان الله! يقول: "وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم وكان عرشه على الماء، فليس فيه بيان أولية الخلق على القلم، وإنما فيه الإخبار عن كون العرش على الماء، لا التنصيص على أنه الأسبق، وفي حديث أبي رزين، كان في عماء ما تحته هواء، وما فوقه هواء، ثم خلق عرشه على الماء"! ثم يتحفنا فضيلته بوضع خط أحمر تحت قوله "ثم خلق عرشه على الماء"، وإثقال لفظة "ثم"، وكأنه بهذا يلزمنا الحجة الدامغة على ما يريد!! يا أخي أنت والله ما تعقل مطلوبك ولا تحسن تحريره! هل تريد إثبات مخلوق أول لله تعالى بإطلاق؟ أم تريد إثبات مخلوق أول في هذا العالم بخصوصه؟؟ قد بينا أن القضية الأولى لا سبيل لإثباتها من طريق ما تزعم أنك قد دمغتنا به من النصوص! فماذا بقي لديك من شيء تعترض به على كلام شيخ الإسلام؟؟

ثم ينقل لنا كلاما عن ابن جرير الطبري في تاريخه قال فيه: "قد روينا عنه عليه السلام أنه قال: "أول شيء خلقه الله عز وجل القلم"، من غير استثناء منه شيئا من الأشياء أنه تقدم خلقه إياه لخلق القلم، بل عم بقوله صلى الله عليه وسلم أن أول شيء خلقه الله القلم كل شيء، وأن

القلم مخلوق قبله من غير استثنائه من ذلك عرشا ولا ماء ولا شيئا غير ذلك"

قلت: الله أكبر! ابن جرير الطبري رحمه الله من أئمة السلف؟؟ والله حتى لو كان من أئمة القرن الرابع أو الخامس الهجريين، ما صار رأيه المنقول هاهنا حجة على ما عليه أهل السنة وعلى ما حرره ابن تيمية في المسألة! فإنه لا عصمة لا للواحد من أئمة السلف، ولا لابن جرير، ولا لابن تيمية، وإنما العصمة لإجماع أهل السنة، وهذا ما ضللتم أنتم الطريق إليه!!

ثم كتب الرجل، أخزاه الله، عنوانا في غاية القبح للصفحتين التاليتين من بحثه، قال فيه: فصل في ذكر كلام أئمة السنة وعلماء الأثر المخالف لتقرير من توسع في الكلام، وولج موالج المتأخرين من أهل الخذلان"!! قلت إي وربي هكذا كتب!! شيخ الإسلام وإمام الأنام ابن تيمية رحمه الله تعالى، الذي لولا أن منّ الله تعالى عليه بما منّ، ومنّ علينا بالتتلمذ على تلامذته، ما عرفنا كيف نفرق مذهب السلف من مذاهب الخلف التي لبسها المتكلمون لبوس السنة أعظم وأبلغ ما يكون التلبيس، هذا الحبر الإمام رحمه الله تعالى، يقال فيه إنه ولج موالج المتأخرين من أهل الخذلان!! فأي خذلان لطالب العلم، أو لمن يزعم لنفسه أنه طالب علم، فوق هذا الخذلان؟؟ نسأل الله السلامة والعافية!!

يقول: "ونحن نمر كلام أئمة السنة وعلماء الأثر، ونقر بفهومهم للأخبار ولا نخرج عليه!"

قلت: ومن أين تبينتم تلك الفهوم وكيف انتهيتم إليها وكيف قامت في نفوسكم ابتداء يا مساكين؟؟ من مجرد مطالعة ذلك الكلام؟؟ ثم إننا لا نقول "نمر كلام الأئمة" أصلا يا جهول، وإنما يقال ذلك في كلام الله تعالى أو في كلام النبي عليه السلام في الصفات الإلهية، يقال أمروها كما جاءت، أي لا تتكلفوا تفسيرها، لأن ذلك يوقع في التكييف الممنوع،

وإنما تفهم على لسان العرب بمجرد تلاوتها! ولكن هؤلاء من فرط غرقهم في الغلو في آثار أئمة القرن الثالث والرابع والخامس الهجري، صيروها حجة بنفسها، إلى حد أن من خالفهم في فهمهم لها، وفي أو في احتجاجهم ببعضها من الأصل، اتهموه بأنه جهمي لمجرد المخالفة!! يقال لك: أنت أعلم من الإمام فلان؟ ونقول له يا سفيه، ما زعمنا أننا أعلم منه، وإنما قلنا إننا بفضل الله أعلم منك ومن شيوخك، إن كان لك من شيوخ، بما ورثه العلماء والأئمة من الفهم عن الإمام فلان، الذي أسأت أنت إليه أبلغ الإساءة بنسبته إلى جهلك، لأنا أخذنا ذلك من طريقه الصحيح، من مجالس العلماء! وإلا فالذي أفهمكم يا سفهاء أن ما يتبادر إلى ذهن العامي الأحمق منكم من فهم لكلام السلف، هو ظاهره بالضرورة، وهو فيه واضح قاطع وكذا، وأن الأثر لعالم من أئمة القرن الثاني أو الثالث أو الرابع أو الخامس، إذا وقع في كتاب من كتب العقيدة، أو من كتب السنة الموروثة، فهو حق واجب الاتباع، بلا نظر في السند أو في المتن، أو فيما عليه القرون من أهل السنة في نفس الأمر، هذا غشكم أعظم ما يكون الغش، وعلمكم ضلالة وبدعة كبرى، ما عرفها تلامذة السلف ولا ورثوها عنهم يوما من الدهر!!

يقول الكاتب: "فالحبر ابن عباس الذي قال ما تقدم، هو نفسه القائل فيما صح عنه من طريق الأعمش، عن أبي ظبيان عنه "أول ما خلق الله من شيء القلم". والنقلان صحيحان عنه، ولا يعارض أحدهما الآخر ولا يخالفه، فالإخبار عن كون الله غفورا رحيما فيما لم يزل إلى ما لم يزل، لا ينافي إثبات أولية للمخلوقات!" قلت: أما على فهم أهل السنة بأن المقصود أول ما خلق من شيء في هذا العالم، فنعم لا يعارض ولا شك! ولكن على فهمك أنت ومن وافقتهم عليه من الأشعرية، فيعارض ولا شك، لأن معنى كونه على صفة ما فيما لم يزل، أنه لا ابتداء لتحققه بها نوعا، وهذا يصح في خالقيته كما يصح

في رحمته ومغفرته! بل لا يتصور منه مغفرة ورحمة في الأزل إلا بأن يكون له سبحانه مخلوقات تتجدد، فتُرحم ويغفر لها! وأنا أسأله: عدم التعارض هذا، كلام السلف الصريح المسند إليهم، أم هو رأيك أنت واجتهادك؟ لن أسلم لك بقولك إنك تقر بفهوم السلف وأئمة الأثر للأخبار ولا تخرج عليها، حتى تأتيني بتقرير صريح لقول أئمة السلف والأثر من الطبقة التي تشترطها أنت، بأن الجمع بين الأثرين لابن عباس يكون كما ذكرت أنت، لا كما عليه أهل السنة في القرون المتأخرة! الآفة يا إخوان أن هؤلاء السفهاء يحسبون أنهم بهذه التقريرات التي بدعوها في الجمع بين الآثار وفي حمل هذا على هذا، والتوفيق بين هذا وذاك، "يمرون كلام السلف"، كما عبر، ولا يخرجون عليه!! وهذا من عظيم جهلهم وخفة عقولهم! بل أنت تقرر رأيك ونظرك واجتهادك أنت، وتحمل الناس على تقليدك عليه على أنهم يقلدون ابن عباس رضي الله عنه فيما تدعيه من نفي تسلسل الحوادث الذي قرره ابن تيمية!! وهذا من طوام الحدادية وجهالاتهم على اختلاف طوائفهم! أن الواحد منهم يجمع الآثار والنصوص بين يديه، ثم يجلس ليستنبط منها العقائد والأصول والقواعد العلمية، بمعزل عما سلكه أهل العلم وما أصلوه وما أورثوه تلامذتهم عبر القرون، ثم يزعم بكل وقاحة وسخافة أن ما انتهى إليه هو صريح كلام السلف!! فإذا خالفته ينكر عليك ويقول: كيف لا ترى ما أراه؟؟ الكلام صريح أمامك يا رجل!! ألا تراه؟؟ هل أضع لك خطوطا فوقه أو تحته أو أكبره لك حتى تحسن قراءته؟؟ أم آتيك بالمعجم حتى تفهم؟؟ هكذا!! فما الحيلة لإفهام تلك العجماوات أن ما يؤصلونه هو أصولهم هم وقواعدهم هم، وما ينسبونه إلى السلف تأسيسا على ما وقع لهم من آثارهم المسندة، إنما هو ثمرة جهلهم هم، ولا علاقة له بطريقة أهل الشأن من قريب

أو بعيد؟؟ لا حيلة والله ولا سبيل، ولا أظن أن هؤلاء يجدي معهم ولا يكفينا شرهم إلا تعزير السلطان، والله المستعان!
ثم يعنون هذا السفيه بعنوان جديد يقول "قول الإمام أحمد"! فهل نتوقع أن نرى تحته كلاما صريحا في معارضة كلام متأخري القرن الثامن من أهل السنة في هذه المسألة؟ أبدا! وإنما كالعادة نجد كلاما يتأولوه هو على ما يريد، ثم يطالبنا بأن نترك ما عليه العلماء والأكابر من أهل السنة في القرون الست أو السبع الأخيرة لنقلده هو على ما جاء به من ذلك!! يقول: "والإمام أحمد الذي قال ما قال – مما تقدم نقله – هو نفسه القائل: تأولت الجهمية من قول الله (هو الأول والآخر) فزعموا أن الله هو قبل الخلق فصدقوا، وهو القائل: "نحن نقول قد كان الله ولا شيء ولكن إذا قلنا إن الله لم يزل بصفاته كلها، أليس إنما نصف إلها واحدا بجميع صفاته" فإثبات الفعل لله تعالى، وأنه لم يزل متكلما خالقا لا يعارض كون الرب تعالى قد كان ولا شيء معه، وأنه سابق للخلق، خلافا لمن قال بأن المخلوقات قديمة نوعا!"
قلت: لا الأثر الأول ولا الثاني يدل على ما تريد! فأما الأول، فقوله رحمه الله إن الله قبل الخلق، وإقراره الجهمية على ذلك في معنى اسمه الأول، إنما يفهم منه، على طريقة أهل السنة، أنه لم يزل يخلق سبحانه، ولم يزل مع ذلك متقدما على خلقه، سابقا لهم جميعا في الوجود! فما من مخلوق إلا وهو مسبوق بوجود خالقه سبحانه بالضرورة! وأما الأثر الثاني، فأسنقل لكم أصله وسياقه من كتاب الإمام أحمد في الرد على الجهمية، حتى يتبين لكم شذوذ تلك الفئة عن منهج الرجل، وتحميلهم كلامه ما لا يحتمله أبدا بحال من الأحوال!! قال رحمه الله في سياق الرد على الجهمية في قولهم الكلام مخلوق: " قلنا: قد أعظمتم على الله الفرية، حين زعمتم أنه لا يتكلم فشبهتموه بالأصنام التي تعبد من دون الله؛ لأن الأصنام لا تتكلم، ولا تتحرك ولا تزول من مكان

إلى مكان. فلما ظهرت عليه الحجة قال: إن الله قد يتكلم، ولكن كلامه مخلوق، قلنا: وكذلك بنو آدم كلامهم مخلوق، فقد شبهتم الله بخلقه حين زعمتم أن كلامه مخلوق، ففي مذهبكم قد كان في وقت من الأوقات لا يتكلم حتى خلق الكلام، وكذلك بنو آدم كانوا لا يتكلمون حتى خلق الله لهم كلامًا، وقد جمعتم بين كفر وتشبيه. وتعالى الله عن هذه الصفة، بل نقول: إن الله لم يزل متكلمًا إذا شاء ولا نقول: إنه كان ولا يتكلم حتى خلق الكلام. ولا نقول: إنه قد كان لا يعلم حتى خلق علمًا فعلم، ولا نقول: إنه قد كان ولا قدرة له حتى خلق لنفسه القدرة، ولا نقول: إنه كان قد كان ولا نور له حتى خلق لنفسه نورًا، ولا نقول: إنه قد كان ولا عظمة له حتى خلقه لنفسه عظمة، فقالت الجهمية: لما وصفنا الله بهذه الصفات: إن زعمتم أن الله ونوره، والله وقدرته، والله وعظمته، فقد قلتم بقول النصارى حين زعموا، أن الله لم يزل ونوره، ولم يزل وقدرته. قلنا: لا نقول: إن الله لم يزل وقدرته، ولم يزل ونوره، ولكن نقول: لم يزل بقدرته ونوره، لا متى قدَّر، ولا كيف قدر. فقالوا: لا تكونون موحدين أبدًا حتى تقولوا: قد كان الله ولا شيء. فقلنا: نحن نقول: قد كان الله ولا شيء. ولكن إذا قلنا: إن الله لم يزل بصفاته كلها، أليس إنما نصف إلَهًا واحدًا بجميع صفته؟ وضربنا لهم في ذلك مثلا. فقلنا: أخبرونا عن هذه النخلة؟ أليس لها جذع وكرب، وليف وسعف وخوص وجَمّار؟.. واسمها اسم شيء واحد، وسميت نخلة بجميع صفاتها، فكذلك الله، وله المثل الأعلى بجميع صفاته إله واحد، لا نقول: إنه قد كان في وقت من الأوقات. ولا يقدر حتى خلق له قدرة، والذي ليس له قدرة هو عاجز، ولا نقول: قد كان في وقت من الأوقات ولا يعلم حتى خلق له علمًا فعلم"

قلت: فالإمام رحمه الله كان يحتج على الجهمية في هذا الموضع احتجاجا عقليا صرفا كما ترى، يلزمهم بتشبيه الرب سبحانه بخلقه، إذ

زعموا أن صفة الكلام له حادثة وهو قديم! فحقيقة ذلك أن يكون غير موصوف بالكلام أصلا، من الأزل، حتى خلق لنفسه كلاما! ولا يكون موصوفا بالعلم من الأزل حتى خلق لنفسه علما! ولا يكون موصوفا بالإرادة حتى خلق لنفسه إرادة، وهكذا! وبنفس الطريقة وعلى نفس الوتيرة العقلية يقال: ولا يكون موصوفا بالخلق من الأزل، حتى يحدث مخلوقا أول لا خلق قبله! فإثبات مخلوق أول لا خلق قبله، كإثبات كلمة أولى لا كلام لله قبلها من الأزل، في هذا الحكم العقلي الذي يقرره الإمام هاهنا، ويحتج به على الجهمية! هذه ونحوها كلها أقوال الجهمية وجوابها عند الإمام واحد، أنه من تشبيه الله تعالى بخلقه!! لا يكون قديما على الحقيقة حتى يكون قديما بجميع تلك الصفات له سبحانه، لا أنها تكون ممنوعة في حقه في الأزل، ولا أن إثباتها له في الأزل يصيرها أعيانا قديمة مستقلة عن ذاته كما تدعيه الجهمية، يلزمونه رحمه الله بما قالته النصارى من التثليث، واضطروا لأجله في جدالهم معهم لأن يحدثوا تلك البدعة، بدعة تعدد القدماء!! فالإمام رحمه الله فهم عنهم ذلك الأصل الجدلي ووعاه، رحمه الله، ونقضه عليهم نقضا عقليا كليا كما ترى!! ولم يقل نترك كلامهم وفلسفتهم ولا نرد عليها وإلا كنا خائضين في الكلام المذموم، والجين موالج المتأخرين من أهل الخذلان، كما دندن به ذلك المأفون!! والكتاب مشحون بالحجاج العقلي وضرب الأمثال، كما يعرفه كل من طالعه ممن أنار الله بصائرهم بالأخذ عن العلماء! ولهذا نقل ابن تيمية هذا الموضع في منهاج السنة وعلق عليه بقوله: "وَهَذَا الَّذِي ذَكَرَهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ يَتَضَمَّنُ أَسْرَارَ هَذِهِ الْمَسَائِلِ، وَبَيَانَ الْفَرْقِ بَيْنَ مَا جَاءَتْ بِهِ الرُّسُلُ مِنَ الْإِثْبَاتِ الْمُوَافِقِ لِصَرِيحِ الْعَقْلِ، وَبَيْنَ مَا تَقُولُهُ الْجَهْمِيَّةُ، وَبَيْنَ أَنَّ صِفَاتِهِ دَاخِلَةٌ فِي مُسَمَّى أَسْمَائِهِ"! فما زاد ابن تيمية رحمه الله في تصانيفه على أن زاد من النقض العقلي على أصول القوم، على نفس المنهاج والطريقة،

والكشف لأسرار تلك المسائل وبيان ما به تنحل به مجملاتها وترتفع به مبهماتها، ويندفع تلبيس القوم بها على الناس، على ما دعته الضرورة الشرعية في عصره لأن يتكلفه!

فعندما يأتي هذا السفيه الذي نرد عليه هاهنا، ليرسم خطا تحت قوله رحمه الله "كان الله ولا شيء"، ثم يقول معلقا: "فإثبات الفعل لله تعالى وأنه لم يزل متكلما خالقا، لا يعارض كون الرب تعالى قد كان ولا شيء معه، وأنه سابق للخلق، خلافا لمن قال بأن المخلوقات قديمة نوعا" فهذا ينادي على نفسه بالجهل والحماقة! تأمل بربك خفة عقله إذ يقول: "فلا يصح القول حينئذ بأن الرب كان ولا شيء معه، ولا شيء غيره، وأنه قبل الخلق نوعا!" قلت: الرجل، من جهله وحماقته، ينفي الصحة عن المذهب الذي يريد أن ينتصر له في هذا المقال من حيث لا يشعر، لأنه على ما يبدو لا يدري أصلا ما المقصود بلفظة نوعا في اصطلاح العلماء!! يقول: لا يصح أنه قبل الخلق نوعا!! طيب ما الذي يصح إذن؟ أنه قبل الخلق آحادا وأفرادا؟ لا ثالث للقسمين! فإذا قلت نعم، فهذا ما نقول به ويقول به شيخك وشيخ مشايخك وإن رغمت أنفك، شيخ الإسلام رحمه الله! وإن قلت لا، حكمت على نفسك بالحماقة، لأن مذهبك حقيقته أنه موجود في الأزل قبل ابتداء نوع الخلق سبحانه، ومذهب من ترد عليه أنه لم يزل موجودا قبل وجود كل فرد من أفراد المخلوقات بلا أول. فإذا أبطلت كلا المذهبين ففي أي شيء أنت؟؟

والله يا إخوان هؤلاء حالهم يضحك منها الثكالى! ويزعمون أنهم أشد الناس تمسكا بما كان عليه السلف! أي سلف؟؟ لا سلف لكم في الأمة أصلا ولو وقفتم على رؤوسكم!

لن أتحفك بتقرير أن القول بتسلسل الحوادث لا ينافي القول بأن الله كان قبل خلق هذا العالم لا شيء معه ولا شيء غيره، كما يبدو أنك

تدندن حوله! يجوز ولا شك أن يكون الحال أنه سبحانه قد أفنى كل موجود قبل خلقه هذا العالم مما سوى ذاته، فبقي لفترة ولا شيء معه، ثم خلق العالم عند حصول المشيئة لديه! لا إشكال في ذلك! ولكن أنت أخف عقلا من أن تفهم ما هو المذهب الذي ترد عليه أصلا، والله المستعان!!

ثم ينقل كلام الفقيه الكناني رحمه الله وكأنما ظفر بنص صريح على ما يريد، وهو قوله:

"إنما قلت إنه لم يزل الفاعل سيفعل ولم يزل الخالق سيخلق، لأن الفعل صفة لله عز وجل يقدر عليه، ولا يمنعه منه مانع، وقد أقر بشر أن الله كان ولا شيء معه، وأنه أحدث الأشياء بعد أن لم تكن الأشياء بقدرته، وقلت أنا إنه أحدثها بأمره وقوله، وذلك كله متقدم قبل الخلق، وما كان قبل الخلق فليس هو من الخلق في شيء"

ثم علق فقال: "فذكر الكناني نفسه اعتقاده، وشرح مقاله، وأبان أن إثباته لدوام فعل الرب لا يعني أنه يثبت مفعولا مخلوقا قديما مع الرب تعالى، لا نوعا ولا فردا! بل أبان معنى ذلك أنه قادر، وغير ممتنع الفعل منه، وأنه لم يزل هو الفاعل = سيفعل! قلت: أولا، قولك: لا يعني أنه يثبت مفعولا مخلوقا قديما مع الرب لا نوعا ولا عينا، يكشف جهلك الفاضح بمذهب من ترد عليه، فإنه لا يجوز أصلا أن يقال إن مذهب شيخ الإسلام هو إثبات مفعول مخلوق قديم مع الرب نوعا!! هذه لا يقولها أحد ممن تكلموا في هذا الباب أصلا!! والظاهر والله أعلم أن الرجل فعلا لا يفهم معنى المصطلح "نوعا" هذا، يظن أن إثبات القدم النوعي للمخلوقات أو قدم جنس المخلوقات يقتضي إثبات شيء قديم معه سبحانه، بوجه ما! وهذا لو صح للزمه أن يحكم بتكفير الشيخ، لأنه إذن يكون عنده قائلا بأن في الوجود مع الله ما لم يخلقه الله تعالى!! ولكن قد مر أنه لا يرى مانعا من إثبات موجود مع الله قبل خلق القلم

(وهو العماء على القول بأنه سحابة)، ولا يكون ذلك الموجود، مع هذا، من جملة المخلوقات، فلا يعارض إثبات القلم أول مخلوق لله تعالى بإطلاق!! فلولا أني أعلم جهله وعجمته وحماقته وأنه لا يدري ما يراد وما يؤخذ من تلك الألفاظ عند العلماء، لحكمت بتكفيره هو لهذه المقالة، والله المستعان!!
ثانيا: كلام الفقيه الكناني رحمه الله لا يؤخذ منه إلا أن الله كان قبل خلق العالم في حال لم يكن فيها معه شيء، لا أنه لم يخلق شيئا قبل العالم أبدا من الأزل بإطلاق كما تريد! وقد مر أن هذا لا يلزم منه ذاك! فهو على مذهبه ينتصر لتقدم الكلام الإلهي الذي به خلقت موجودات هذا العالم، على خلقها زمانا بالضرورة، فيحتج بذلك على أنه لا يكون هو نفسه مخلوقا لأنه تقدم على الخلق وكان سببا فيه! ولا شك أن الله تعالى لم يزل فاعلا لهذا العالم بمعنى أنه لم يزل سيفعله، ولم يزل خالقا له بمعنى أنه لم يزل في الماضي موصوفا بأنه سيخلقه، والكلام هنا عن هذا العالم بخصوصه، ولا إشكال فيه البتة! نعم صحيح هو كذلك، ولا يقتضي نفي كونه قد خلق شيئا على الإطلاق قبل كونه ولا شيء معه البتة!! فاحتجاج الإمام بهذا لا يقتضي النقض على ابن تيمية بوجه من الوجوه، ولكنك لا تعقل ولا تدري!! فإن زعمت أنه أراد أنه سبحانه لم يكن خالقا شيئا أبدا من الأزل، من زمان لا ابتداء له في الماضي، ثم حدث الخلق بعد أن لم يكن، فكلام الإمام أحمد في رده على الجهمية في حدوث الكلام بعد أن لم يكن، الذي نقلناه لك أنفا، واقتضائه مشابهة المخلوقين، ونظيره مما عند الأئمة، ومما سقت بعضه أنت بنفسك في أول المقال، ينقض عليك مذهبك من نفس الجهة، ولا نزيد!
ثم ينقل كلاما للإمام الدارمي رحمه الله، يسلك فيه نفس المسلك، فيقول: والإمام الدارمي الذي قال: كل حي فعال، هو نفسه القائل: "لأن لحدوث الخلق حدا ووقتا، وليس لأزلية الله حد ولا وقت، لم يزل ولا يزال"،

قلت: أي ذاته سبحانه لا حد لوجودها في الماضي، بينما الخلق، أي المخلوق، لا يكون إلا حادثا بحد ووقت لا وجود له قبله!! وهذا واضح! ثم يقول: "وهو القائل: "ما تعجبون من أن كان الله ولا شيء من خلقه، ثم خلق الخلق،" قلت إن كان يقول بأن العماء لا شيء، فلا يلزم منه إثبات مخلوق أول بإطلاق كما مر، وإن كان يقصد بلا شيء من خلقه ويقصد بالخلق، هذا العلم الذي نعرفه، فهذا هو مذهبنا ولا إشكال! فكان ماذا؟ ثم يقول: "وهو القائل: "الله تبارك وتعالى اسمه كأسمائه سواء، لم يزل كذلك ولا يزال، لم تحدث له صفته، ولا اسم لم يكن كذلك قبل الخلق، كان خالقا قبل المخلوقين، ورازقا قبل المرزوقين، وعالما قبل المعلومين، وسميعا قبل أن يسمع أصوات المخلوقين، وبصيرا قبل أن يرى أعيانهم مخلوقة" قلت هذا الكلام يستقيم لغة على أن المراد أعيان المخلوقين والمرزوقين والمعلومين، ويستقيم كذلك على أن المراد نوعهم أو جنسهم، فكيف يكون فيه حجة على ما تريد؟؟؟

ثم يتحفنا بنقل عن الإمام البخاري، ومن الواضح أن الرجل شرط على نفسه في هذا المقال أن يرد بهذه النقولات عن أولئك الأئمة خاصة، لأن ابن تيمية رحمه الله استعان بكلامهم الذي نقله هو أولا في بيان أن الله تعالى لم يزل موصوفا بتجدد الخلق والفعل الإلهي من الأزل بلا مفعول أول! وهذا من جهله، أولا لأنه ليس في شيء منها ما يحقق له يريد كما ترى، وثانيا، فلأنه في ذلك كله كالكبش ينطح جبلا يريد أن يسقطه!! فأنت أصلا يا مسكين، لولا أن تعلمت شيئا من العلم في أول أمرك، عند بعض المشايخ الذين تتلمذوا على كتب شيخ الإسلام رحمه الله وعلى تلامذة من تتلمذوا على الشيخ وغيره من أئمة القرون المتأخرة، في فهمهم كلام السلف وتحريرهم مذهبهم، ما عرفت أصلا من هم السلف ومن أين يؤتى بكلامهم، الذي تريد الآن أن تحتج به على مثل ابن تيمية في مسألة كهذه!! فنعوذ بالله من العمى والخذلان!

يقول: والحافظ أبو عبد الله البخاري الذي قال ما تقدم هو نفسه القائل: ((قال الله إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون)) فأخبر أن أول خلق خلقه بقوله، وأول خلق هو من الشيء الذي يقال ((وخلق كل شيء)) فأخبر أن كلامه قبل الخلق" قلت: هذه الحجة تصح سواء كان القلم هو أول مخلوقات هذا العالم خاصة (كما حرره شيخ الإسلام وأُقره عليه أهل السنة في عصره ومن بعده)، أو أول مخلوقات الرب سبحانه بإطلاق، فكل ما يكون من خلق، من شيء مخلوق، فالقول الإلهي يسبقه كله بالضرورة، يسبق وجود شيء منه، وبهذا يمتنع أن يكون نفس الكلام الذي به يخلق المخلوق، مخلوقا، وإلا للزم التسلسل**!** لو كانت كلمة التكوين مخلوقة، والمخلوق يوجد بسببها، وهي قبل ابتداء ذلك الخلق، فهي كذلك تحتاج إلى كلمة قبلها، فلو كانت هي كذلك مخلوقة للزم التسلسل**!** وهذا يصح في كل ما يقال إنه مخلوق**!** ولهذا قال أبو عبد الله عقب هذا الموضع مباشرة: "وَالْقُرْآنُ كَلَامُ اللَّهِ غَيْرُ مَخْلُوقٍ، لِقَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: {إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ} ، فَبَيَّنَ أَنَّ الْخَلَائِقَ وَالطَّلَبَ، وَالْحَثِيثَ، وَالْمُسَخَّرَاتِ بِأَمْرِهِ، ثُمَّ شَرَحَ، فَقَالَ: {أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ} [الأعراف: ٥٤] " قَالَ ابْنُ عُيَيْنَةَ: " قَدْ بَيَّنَ اللَّهُ الْخَلْقَ مِنَ الْأَمْرِ بِقَوْلِهِ: {أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ} [الأعراف: ٥٤] ، فَالْخَلْقُ بِأَمْرِهِ كَقَوْلِهِ: {لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ} [الروم: ٤] ، وَكَقَوْلِهِ: {إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ} [يس: ٨٢] ، وَكَقَوْلِهِ: {وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ} [الروم: ٢٥] ، وَلَمْ يَقُلْ بِخَلْقِهِ". فالخلق والأمر لو استويا في كونهما جميعا خلقا، للزم التسلسل، كما ذكره شارح الطحاوية وغيره. وهذا الاحتجاج مشهور عند الأئمة، ولم يفهم منه أحد من أئمة أهل السنة الذين جاءوا بعد البخاري رحمه

الله، ما فهمته أنت!! وإلا فأين؟ يقول: وأضف إلى هذا قول الحافظ أبي جعفر البغدادي لوين الذي استحسنه أحمد حيث قيل له: إن لوينا قال: "إن أول ما خلق الله القلم، فأول الخلق القلم، وكلام الله قبل خلق القلم" فاستحسنه أبو عبد الله وقال: أبلغ منهم بما حدث! قلت قد مر أن التوجيه واحد على كل اعتبار، فلا نعيد!

والمضحك المبكي يا إخوان، أن الرجل يواصل فيقول: "وقد شرح هذه الحجة أبو بكر الآجري من أصحابنا المتقدمين"!! قلت: الله أكبر! من أصحابنا المتقدمين؟؟؟ أبو بكر الآجري؟؟ أنت إذن، إذ تقرأ هذا المقال، فإنما تقرأ لإمام حبر مجتهد من مجتهدي الحنابلة، بلغ أن يقول عن الإمام الآجري رحمه الله تعالى، إنه من "أصحابنا" المتقدمين!! والله ما قالها ابن تيمية نفسه وهو إمام الحنابلة بل إمام الدنيا في زمانه، ولا حول ولا قوة إلا بالله!! أي كبر هذا الذي ملأ صدور هؤلاء السفلة الجهال، وعلى أي شيء ولأي شيء؟؟ من تظن نفسك يا رجل؟؟ ما الذي يراه هؤلاء في أنفسهم وكيف يتزين لهم ذلك، وهم على ما ترون من الجهل الفاضح والفهاهة، والأجنبية شبه التامة عن طريقة أهل العلم؟؟ ما إنجازهم في العلم وما أياديهم وأين ما قدموه للناس؟ بل أين هم أصلا وأين نجدهم إن طلبناهم؟؟ صدق القائل: شر البلية ما يضحك!

يقول ناقلا كلام الإمام الآجري: قد احتج أحمد بن حنبل بحديث ابن عباس: إن أول ما خلق الله من شيء القلم، وذكر أنه حجة قوية على من يقول إن القرآن مخلوق، كأن يقول، قد كان الكلام قبل خلق القلم، وإذا كان أول خلق الله من شيء القلم، دل على أن كلامه ليس بمخلوق، ولأنه قبل خلق الأشياء." قلت: كل من جمع قوله رضي الله عنه "إن أول ما خلق الله القلم"، وقوله تعالى: ((إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ)) [النحل : ٤٠]، فسيقطع بأن قوله تعالى"كن" لا يمكن أن يكون هو نفسه مخلوقا، وإلا ما قال أن أول ما خلق هو القلم!

بل لزم أن يكون أول ما خلق هو كلمة التكوين التي خُلق بها القلم! وهذا يحتج به ابن تيمية، مع قوله بحوادث لا أول لها، ولا تناقض ولا إشكال كما مر!!
ثم يقال: وأضف إليه قول سيد أهل زمانه، أعني الحافظ أبا عبد الله ابن منده: لم يزل الله موصوفا بالخالق البارئ المصور قبل الخلق، بمعنى أنه يخلق ويصور" قلت: أي بمعنى أنه لم يزل يفعل ذلك! فكل خلق يحدثه يكون موصوفا قبله بأنه الخالق، وإن لم يكن معه شيء حال شروعه في الخلق! هذا يقره ابن تيمية ولا يرى فيه ما يشكل عليه! وعلى هذا يحمل قول الأصبهاني أيضا الذي نقله بعد: "قال العلماء إذا كان أول الخلق القلم فالكلام قبل القلم، وإنما جرى القلم بكلام الله الذي قبل الخلق". وأما قوله: "وأن الله لم يزل مسميا نفسه خالقا ورازقا من غير أن يُعتقد أن الخلق والرزق كان في الأزل" قلت: لا إشكال البتة في أن يكون المراد هنا بالخلق والرزق خلق هذا العالم! لم يزل موصوفا بأنه خالق ورازق من الأزل، وإن لم يكن في الأزل خالقا هذا العالم بعينه ولا رازقا ما فيه، ولا هم قيام في الوجود بأعيانهم! فالخلق المتجدد والرزق المتجدد في هذا العالم مبدوء في الوجود بعد عدمه قطعا، وهذا لا يتعارض أبدا مع اعتقاد أنه لم يزل يخلق ما يشاء وما يختار بلا مخلوق أول، بل نفي المخلوق الأول (من حيث إطلاق المخلوقية، وليس المخلوق الأول من هذا الأمر الذي نحن فيه) هو الأليق بكماله سبحانه كما حرره شيخ الإسلام! وهذا ما عليه تلامذة هؤلاء الأئمة من الفهم في القرون اللاحقة!
فالآن الرجل يقول بعد هذا الجمع والنقل: "فهذا هو قول الأئمة، وإجماع أهل الحديث، لا غيره مما ادعاه المدعون"! فأنا أسأل كل طالب علم يعقل ويعي ما يقرأ، هل بمثل هذا العبث الذي سلكه هذا المسكين، يعرف "إجماع أهل الحديث"؟؟ من هم المدعون الذين يشير إليهم في

كلامه هذا؟؟ يقصد شيخ الإسلام ابن تيمية!! هذا الصبي الغمر المجهول، الذي يشير إلى الإمام الأجري بقوله "صاحبنا من الأقدمين"، وإلى ابن تيمية ببعض مشاهير القرن الثامن من المتأخرين، هو أعلم من ابن تيمية بإجماع أهل الحديث وقول الأئمة في هذه المسألة العظيمة الدقيقة، بناء على أي شيء؟؟ على جلسة جلسها على الشاملة في ليلة من الليالي، فأخرج منها تلك الآثار التي ترى، فرأى في نفسه أنه مستغن عن سؤال أهل العلم عن توجيهها، وأنها تفيده بتقرير إجماع أهل الحديث! وهذا من أعظم الفساد في طريقة أولئك الصبية السفهاء! أن الواحد منهم يدعي الإجماع بناء على جمع تكلفه للآثار، ثم فهم وتأويل تكلفه هو أيضا من رأسه لتلك الآثار، من غيرما رجوع لأحد من علماء القرون التالية لأولئك الأئمة في توجيه كلامهم وفهمه وبيان ما عليه أهل السنة في المسألة التي يريد التأصيل والتقرير فيها، ثم يقول بكل سهولة كما قال ذلك السفيه: فهذا هو قول الأئمة وإجماع أهل الحديث، لا غيره مما ادعاه المدعون!! فمن هؤلاء المدعون؟؟ طلبة علم صغار مثلا أو أحداث من أمثاله ممن لو قدموا إلى عالم من العلماء ليجالسوه لطردهم، عملا بقول السلف: لا تعطوا السفلة من الناس العلم؟؟ أبدا! وإنما هم أئمة القرون منذ القرن الثامن الهجري وإلى يوم الناس هذا! وما ادعاه المدعون هذا هو المذهب الذي لم يزالوا يعلمونه لطلبتهم على أنه هو مذهب السلف وكلام أهل السنة!! الأمة ضلت لستمائة أو سبعمائة سنة، فلم يقم فيها إمام ولا عالم متبوع بنصرة مذهب السلف في هذه المسألة الخطيرة على "غلط ابن تيمية"، تلك المسألة التي يترتب عليها من اللوازم والمقتضيات ما لا يعقله ذلك السفيه، حتى جاءنا فضيلته من مجلس الإمام أحمد نفسه، ليحدثنا أخيرا، بلا واسطة، بما أجمع عليه السلف على عصره!! فلا أدري والله أأضحك أم أبكي من حال هؤلاء الصبية وما وصلوا إليه!!

مسألة حوادث لا أول لها هذه لم يأت بها ابن تيمية من فلسفته ولا من خوضه في الكلام كما تزعم يا عدو نفسك! وإنما نقض بها أصول أهل الكلام الباطلة، جريا على مسألة عقلية لا يخالف فيها مسلم، وهي أن الله تعالى لم يزل فعالا لما يريد، وأنه مع ذلك أزلي لا ابتداء في الزمان لوجوده! فهل تزعم أنت أن هؤلاء الذين نقلت كلامهم، رحمهم الله جميعا، كانوا يقولون بان الله سبحانه كان لا يفعل شيئا على الإطلاق، ولا يخلق ولا يرزق، من الأزل في الماضي، أي من زمان لا ابتداء له، حتى شاء أن يخلق هذا العالم فأصبح يخلق ويرزق ويكلم المخلوقين، بعد أن لم يكن يفعل شيئا من ذلك؟؟ كلامهم جميعا صريح في خلاف ذلك، سواء من قال منهم بأن الله كان قبل خلقه العالم وليس معه شيء البتة أو من لم يقل ذلك!!

وإلا فكيف يصح فيه أنه لم يزل من الأزل فعالا لما يريد، أي لم يزل في كل وقت وحين موصوفا بأنه يفعل ما يريد، وأن ذلك منه كثير سبحانه، وأنت تفرض أنه قبل القلم، كان وجوده بلا فعل ولا خلق من الأزل بلا ابتداء؟؟ يا رجل هذا العالم مهما طال وجوده في الماضي لا شيء إذا ما قورن بزمان لا ابتداء له في الماضي!! هل تعقل معنى قولك "في الأزل" أو من الأزل؟؟ فكيف يكون السلف مثبتين حقا لأزلية الذات الإلهية ولكونها لم تزل موصوفة بالكمالات كلها في الأزل، لم تكتسبها بعد عدمها القديم، إن صح ما تدعيه الآن من حكمهم بأن الله لم يخلق شيئا أبدا البتة قبل القلم؟؟

يا إخوان، لا تحتجوا بآثار الأولين لرد تقريرات المتأخرين من أهل السنة، فإنها لا يوصل إلى فهمها أصلا، كما حقها أن تفهم، إلا من طريق الأئمة اللاحقين، رحم الله الجميع! وأنتم لو أسقطتم تحريرات ابن تيمية رحمه الله في هذه المسألة الدقيقة الخطيرة، مسألة تسلسل الحوادث، لم يبق أمامكم بد من التسليم للأشاعرة بصحة مذهبهم كله،

وبأنه هو المخرج كما زعموا من قول المعتزلة بخلق القرآن، فإن لكل مذهب لوازمه ولكل قول تبعاته ومقتضياته، ولكل طائفة تأويلاتها للآثار الموروثة عن السلف! فمن لم يعقل تلك اللوازم والمقتضيات وما يواطئها من التأويلات، فليس له أن ينتصر لهذا القول أو ذاك، ولا أن يدعي أن السلف قالوا بكذا ولم يقولوا بكذا، فالسلف لم تصل إلينا مقالاتهم دون أن تمر عبر قرون من الأئمة والعلماء والمحققين من أهل السنة، ولم ينسب إليهم قول أو مذهب دون أن يشتغل العلماء بتحرير لوازمه ومقتضياته في جميع تلك الأبواب التي اقتحمها الجهمية والمتكلمون بباطلهم! ومسألة تسلسل الحوادث هذه من أدق المسائل العويصة التي انفتح على المسلمين بسبب التخليط فيها شر كثير! فإن لم تضبطوا فهمها وتصورها، وتعرفوا كيف يحرر القول الحق فيها، وينقض على مخالفيه، من تصانيف هذا الرجل رحمه الله، الذي كان هو أوعب أهل السنة وأعلم الحنابلة بمداخلها ومخارجها واختلاف الناس فيها، من فلاسفة ومتفلسفة ومتفقهة وعلماء من جميع الطوائف والفرق، فمن أين لكم ضبطها وفهمها كما حقها أن تفهم؟؟ والله لا يكفيكم ملء الأرض نقلا عن السلف في هذا، ولو وقفتم على رؤوسكم!! تدري لماذا؟؟ لأنه كما أنك تنقل عن السلف، فكذلك المتكلم الأشعري يحتج بكلام السلف، بل بنفس هذه الآثار التي تسوقها أنت إلينا، لإثبات صحة مذهبه في قدم الكلام الإلهي!!

القضية يا إخوان في أن هذا الكتاب يظن حقا أنه بذلك قد حجنا وقطعنا، وانتهت القضية! بل يظن كما مر أنه حرر إجماع السلف على ما يزعم! فهل هذا الإجماع بحيث خفي على جميع العلماء والجهابذة من أهل السنة والحديث، منذ قرن ابن تيمية وإلى يومنا هذا، ولم يظهر إلا لك أنت؟؟ ما هذا السخف والعبث؟؟ وكيف استقام في عقولكم المريضة تلك أن يكون الأمر كذلك؟؟ في سبعة قرون كاملة، لم يقم أحد بالسنة

كما حقها أن يقام بها، فمن أين عرفتم أنتم كيف يقام بها وعلى من درستموها إذن؟؟ أنا الآن أقرر توجيهات معينة لتلك الآثار التي سقتموها، وأنت يا كاتب هذا العبث، تدعي لها توجيهات أخرى، فهذا رأيك في مقابل رأيي، فكيف الفصل بيننا؟؟ لا تجد عند هؤلاء إلا ادعاء أن كلام الأئمة الأقدمين في كتبهم "صريح" على تقرير ما يدعيه!! مع أنه كما ترى لا يكون كذلك أبدا! ولو كان كذلك، وكان الشأن أن السلف مجمعون عليه كما يدعي، ولا يعرف فيهم غيره، لوجب أن توجد اليوم طائفة من علماء أهل السنة والحديث الكبار المتبوعين، الذين يقصدهم الناس ليتعلموا منهم طريقة أولئك الأئمة، يقولون جميعا بذلك القول ويفتون به ويعلمونه للناس، وينكر على ابن تيمية كلامه في المسألة ومخالفته إجماع السلف فيها، الظاهر جدا كما تزعم أنت، وتذمه لأجله ذما وافيا على أساس أنه تنطع وتوسع في الكلام والفلسفة وتشبع بطريقة الخلف، فوقع في تلك المخالفات العظيمة، فلا يكون له إذن كبير فضل على أبي الحسن الأشعري وغيره ممن حسبوا أنهم ينصرون السنة بالكلام فما كانوا إلا مبدلين لها مفارقين لسبيلها!! فأين هؤلاء في الأمة يا سفيه أنت وأصحابك ومن تعلمت عنهم تلك الطريقة؟؟ لا وجود لهم!! لا وجود لهم أبدا عبر القرون، منذ أن أظهر ابن تيمية قوله هذا وإلى اليوم! وإنما توجد تلك الترهات عند أمثالك من الأغمار ومن لا يؤبه به ولا يعرفه الناس ولا يرفع أحد بهم رأسا في العلم! وقد بينا أن استنكار مسألة حوادث لا أول لها إنما يرفع رايته الأشاعرة، لأنها تخالف أصولهم، لا أنها تخالف أصول أهل السنة، وأن تلك التأويلات إنما يقول بها الأشاعرة لا أهل السنة!! فأين عملك أنت يا هذا بما تزعم أن ابن تيمية لم يعمل به، من وصية الإمام أحمد: لا تتكلم في مسألة ليس لك فيها إمام؟؟

يقول ذلك الأنوك في ختام ذاك الهراء:

ونحن على طريقتنا ومناهجنا سائرون على طريقة الأوائل، فلا نقول بغير ما قالوه، ولا نتكلم فيما سكتوا عنه ولم يقرروه، ولا نحدث أقوالا ليس لنا في الآثار لإثباتها سبيل ولا في نصرتها دون مشابهة المتكلمين عديل! ونجزم بأن كلام السلف الماضيين (والصواب الماضين)، وتقرير أئمة السنة المتقدمين أشفى للغليل وأبلغ في الرد على المتكلمين وأهل التعطيل، واتم في المقصود، وأوضح في التقرير، وأجلى في التحرير من كلام المتأخرين من أهل القرن الثامن أو غيرهم، ولو كانوا أصحاب ذكاء وتوسع في الخطاب وكثير شقشقة للعبارات،

قلت: تأمل الحقد الدفين عند هؤلاء النوكى على شيخ الإسلام رحمه الله!! هم يحقدون عليه والله! يحقدون عليه لأنهم يعلمون أن الواحد منهم لو أفنى عمره كله في قراءة كتبه فلن يفهم منها شيئا!! والمرؤ كما يقال عدو ما يجهل!! فما أسهل ما نسقط به هذا الإمام وتراثه، الذي لا يزال الناس يحتجون علينا به بين الفينة والأخرى؟؟ نقول إن السلف ما تكلموا بمثل ما تكلم به، وإذن فهو مبتدع ضال، جهمي من جملة المتفلسفة! مع أن الإمام أحمد نفسه الذي ينتسبون إليه وهو منهم بريء، لو قال بمثل ما قالوا في تصورهم العامي الصرف لمسألة المنع من إحداث مسألة لم يتكلم فيها السلف، لما صنف كتابا في الرد على الجهمية أصلا، ولما قال فيه بما قال من الحجج العقلية الباهرة! فإن تلك الحجج ليست مما تكلم به الصحابة من قبله، والمسائل التي تصدر للرد عليها رحمه الله، لم يتكلم فيها الصحابة رضي الله عنهم! فما تدفعون به عن أحمد، فنحن ندفع بنظيره عن ابن تيمية سواء بسواء، ولكنكم قوم لا تعقلون، ولا تريدون أن تعقلوا! أعياهم ابن تيمية أن يفهموه وأن يصبروا على من يعلمهم كلامه ومنهجه ومذهبه، وهم قد احترقت قلوبهم بالحقد والنقمة على العلماء المعاصرين كافة، يرون أنهم أحرى منهم وأحق بتلك المنزلة التي أنزلهم الله إياها في الناس،

فيهجم أحدهم على نصوص السلف وآثارها ليخرج منها ما يريد، مما يجعله سهما يرمى به أئمتنا وعلماءنا في القرون المتأخرة، رجاء أن يقصده الناس كما قصدوهم!! نفس الآفة القلبية الحرورية التي حملت الخوارج على الخروج على ولاة الأمور وتكفيرهم واتهامهم في الدين!! لماذا يكون هؤلاء رؤوسا من فوقي وأطالب أنا بطاعتهم، ولا أكون أنا المقدم المتسلط على الناس؟؟ أنا أحق بذلك منهم! فهؤلاء خوارج على العلماء، كما أن الحرورية هم الخوارج على الأئمة، نسأل الله أن يخلصنا من جهلهم وغبائهم!

وكما توقعت، لا يفوته أن يقول في فصل الختام: "هذا وقد ذم غير واحد من العلماء توسع هؤلاء المتأخرين (يعني شيخ الإسلام) في الجدال، وولوجهم في مباحث المنطق والكلام، الشيء الذي أوقعهم في مخالفة سبيل الأئمة الأبرار، والتشبه بمسالك المتكلمين الأشرار، ولو كانوا في توغلهم إنما يقصدون الخير ونصرة السنة، ويرومون كسر شبهة أهل الكلام بنجس سلاحهم، وعين كلامهم، إذ الغاية لا تبرر الوسيلة! والله طيب لا يقبل إلا طيبا! وليست السنة بحاجة إلى البدعة لتنصر! ولا الهداية منتف تحققها لأهل الكلام في الوحيين، حتى يحتاج أحد ويلجأ للوقوع في كلام المتكلمين، والنهل من عباراتهم وتنظيراتهم، بل من صنع ذلك أنكر عليه علماء أهل الحديث ولو كان من كان، كما قال ابن رجب عن بعض المشاهير من شيوخ شيوخه في ترجمته له (يقصد ابن تيمية): "طوائف من أهل الحديث وحفاظهم وفقهائهم كانوا يحبون (فلانا) ويعظمونه، ولم يكونوا يحبون له التوغل مع أهل الكلام ولا الفلاسفة، كما هو طريق أئمة أهل الحديث المتقدمين كالشافعي وأحمد وإسحاق ونحوهم" قلت: تأمل هذا الجبان إذ لا يزال إلى الآن يصر على إبهام اسم ابن تيمية رحمه الله، حتى عند نقله كلاما المفترض أنه يقوم مقام الجرح فيه!! يا جبان، ابن رجب من تلامذة

تلامذة الشيخ رحمه الله، وهو ما عرف مذهب السلف أصلا، في الصفات الإلهية وفي غيرها، إلا من طريق تلامذته!! وهو يثني عليه ثناء طويلا في نفس هذا الموضع الذي نقلت منه! وغاية ما ذكر أن بعض المنتسبين إلى أهل الحديث من الحفاظ والفقهاء، مع كونهم يحبون الشيخ ويعظمونه، لم يكونوا يحبون له التصدي لأهل الكلام والفلاسفة، لأنهم كانوا يرون أن تركهم وإهمالهم أولى من الرد عليهم، وهذا رأي كانوا يرونه، وإلى اليوم يوجد من يرونه من العلماء لا من السفهاء أمثالك، وهم فيه على حق ما دام كلام القوم لا يعرف له انتشار بين الناس! فالأصل عند أهل السنة المنع من ذلك قطعا ولا خلاف! وإنما يضطر العلماء للرد اضطرارا عند ظهور الداعي الشرعي وترجح المصلحة! فالكلام في ذلك يدخله الخلاف بين أهل السنة ولا إشكال! وكان ابن رجب يرى أن ترك ذلك أولى كذلك! وابن رجب كلامه واضح في أن الذين كرهوا ذلك له طوائف من أهل الحديث وليس أن جميع أهل الحديث كانوا يكرهون ذلك منه! وهو كذلك لم يقل إنهم أنكروا عليه، وانتبه! فلم يكونوا يحبون له ذلك، لأنه رأي رأوه، لا لأنه كان عندهم مخالفا لمنهج السلف!! كانوا يحبون أن يهمل القوم كما أهملهم أحمد! ولكن حتى أحمد لما اضطر للرد والجدال جادل واستعمل الدليل العقلي والسمعي، وأتى في ذلك بما رأى أن الضرورة تقتضيه! ولكن من أسقطوا ميزان الأمر، ميزان المصلحة والمفسدة، وزعموا في نطاعة لا تخفى، أن كل رد وكل تصد للقوم بكلام في العقليات تنقض به أصولهم، يكون من الفلسفة ومن الكلام المذموم بالضرورة، كما سلكه ذلك السفيه، هؤلاء لو عاصروا الإمام أحمد نفسه، على جهالتهم ونطاعتهم تلك، لذموه لتصنيفه كتاب الرد على الجهمية، ولقالوا إن مذهب الصحابة العدول عن ذلك بالكلية، وأنت

ولجت مولج المتكلمين، وخضت مع الخائضين، إلى آخر صياح النسوان هذا!!
ثم أنت تزعم يا جبان أن الشيخ قد أحدث بسبب تشبعه بتلك الطريقة المذمومة بزعمك، مذهبا خالف به إجماع السلف في هذه المسألة، فهل لو كان الأمر كذلك، لقال ابن رجب إن هؤلاء الذين ذكرهم كانوا لا يحبون له التصدي للفلاسفة والمتكلمين، على حبهم وتعظيمهم وإجلالهم له؟؟ أبدا! ابن رجب ذكر أن بعض أهل السنة كرهوا له مبدأ الرد على القوم، ولكن لم يذكر أن من هؤلاء من أبطل عليه كلامه في تلك المسألة التي تفيهقت أنت فيها فجئت بالعجب العجاب!! ولو كانوا ينكرون عليه بعض أقواله المعينة التي رد بها على القوم، لكان كلامهم ليكون كما تكلمت أنت في سفاهتك وخفة عقلك من النكير عليه ومن تشنيع مذهبه، وإذن لنقل إلينا من تصانيفهم، ما تتوافر الهمم عند الحنابلة وأهل السنة لنقله من النكير عليه في هذه المسألة، وإذن لقام لك إمام بهذا الذي تقول!! أما أن تهجم أنت على مثل ابن تيمية تقول له من إمامك، فهذا والله من المضحكات المبكيات!! من إمامك أنت يا جهول في هذا الاستنكار وفي هذا التوجيه لكلام الأقدمين؟؟ من إمامك وأنت تجبن حتى عن أن تسمي الشيخ باسمه في هذه المهزلة التي تزعمها ردا عليه رحمه الله؟؟
لا نامت أعين الجبناء!!!
لا نامت أعين الجبناء!!!
لا نامت أعين الجبناء!!!
ولا حول ولا قوة إلا بالله!

انتهى المقصود من الرد

والحمد لله أولا وآخرا

أبو الفداء ابن مسعود

غفر الله له

----

(١) وهم يقصدون "بالأثري" فيما يتلقبون به، من لا يأخذ العلم إلا من آثار السلف مباشرة، استقلالا بفهمه هو لها، ولا يرفع فوق "الأثر السلفي" كلاما لأحد من أهل العلم في القرون اللاحقة كائنا من كان، وكأن الواحد من أئمة السلف معصوم، وكأن لكلامه حكم النص الشرعي الذي يحتج به لا له، وكأن الواحد منهم إذا قرأ ذلك الكلام بجهله وعجمته وفهاهته وخفة عقله، فلابد أن ما حصل له من فهمه هو المراد، وهو ما يجب أن يعمل به الناس في كل زمان ومكان، والله المستعان!! ولا ينتبه الواحد من سفهاء الأحلام هؤلاء إلى أن حجية الأثر السلفي إنما تناط بالإجماع، لا بمجرد كونه "أثرا سلفيا" من القرون الفاضلة! والإجماع السلفي إنما يعرف بما عليه مشيخة أهل السنة والأكابر من ورثة السلف في كل زمان، لا بما عليه أولئك الأفذاذ المجاهيل المنشقين عن سبيل أولئك الكبار، الخارجين على الجماعة!